تفسير أحكام القرآن لجماعة من علماء باكستان: دراسة وتحليل

د. حامد أشرف همداني *

The Holy Quran is the last revealed book of guidance for humanity. Scholars have produced many commentaries inferring solutions to different issues. The great jurist Imam Shafi' penned a book by the name of 'Ahkam al-Qur'an but writer of 'Kashf Al-Zunoon' was of the view that this book could not survive and the book available with the same name is of Imam Beheqi and not of Imam Shafi'. However, there is a long list of scholars of all schools of thought who afterwards wrote commentary of the Holy Qur'an with the name of Ahkam al-Qur'an. In continuation of this tradition, a committee comprising the confidents of Maulana Ashraf Ali Thanvi: Maulana Zafar Ahmad Usmani, Maulana Mufti Jameel Ahmad Thanvi, Maulana Muhammad Shafi and Maulana Idrees Kandhalvi undertook the task of Qur'anic commentary under Thanvi's supervision. Later on, Mufti Abdul Shakur Tirmazi associated with the committee. This commentary of the Holy Quran is very important in the sense that five great scholars and jurists participated in this holy task. The commentaries bearing the name of Ahkam al-Qur'an are based on inference of juristic issues only. Whereas in this commentary, each verse has been inferred not only from juristic point of view but it covers principles and antiquates etc. especially, challenges of modern time have also been addressed. This great work namely 'Tafsir Ahkam al-Qur'an' was started in 1931 and got completed in 2001(in almost seventy years). Besides salient feature of the book and determining its status among other Qur'anic commentaries, the article presents introduction of its writers and methodology of inference.

الحمد لله رب العالمين، والصلوة والسلام على سيدنا ومولانا محمد خاتم النبيين، وعلى آله وأصحابه أجمعين، وعلى كل من تبعهم بإحسان إلى يوم الدين، وبعد:

فإن القرآن الكريم كتاب الله تعالى الذي امتاز فيما بين الكتب السماوية بأنه خاتم الكتب. كما أن رسول الله صلى الله عليه وسلم هو خاتم الأنبياء، وبأنه الكتاب الوحيد الذي ضمن الله سبحانه ببقائه محفوظاً إلى قيام الساعة، لاتتغير منه كلمة، ولايخرم منه حرف، وإنه الكتاب الفريد الذي يبقى إلى قيام الساعة غضاً طرياً بنظمه ومعناه، وهديه ومغزاه. لاتنقضي عجائبه، ولاتنفد غرائبه، لاتستنكر على تطورات الأساليب عباراته، ولاتبلى على مر الدهور معانيه، كلما أمعنت فيه النظر بعين الاعتبار والاسترشاد

* أستاذ مشارك، بقسم اللغة العربية،جامعة بنجاب، لاهور، باكستان

فزت منه برسالة جديدة، وهداية مفيدة . ﴿كِتَابٌ أُحْكِمَتْ آيَاتُهُ ثُمَّ فُصِّلَتْ مِن لَّدُنْ حَكِيمٍ خَبِيرٍ﴾ (هود: 1).

ولقد شاء الله سبحانه وتعالى أن تكون أمة محمد صلى الله عليه وسلم هي المخاطبة بهذا التنزيل العزيز، فاختار من هذه الأمة فحولاً وعباقر قاموا بخدمة القرآن الكريم من كل جهة وناحية خدمة لا يدانيهم فيها أحد ممن قاموا بخدمة كتاب، فشغلوا أعمارهم به تلاوة وقراءة، وتجويداً وترتيلاً، وشرحاً وتفسيراً، واستنباطاً واجتهاداً، ودعوة وتبليغاً، حتى لايمكن لأحد اليوم . مهما بلغ من العلم والخبرة بمكان . أن يحصي هذه الخدمات عدداً، فضلاً أن يحصيها قراءة وفهماً.

إن المكتبة الإسلامية غنية بالتفاسير التي ألفها علماء هذه الأمة خدمة لهذا الكتاب المجيد، فمنهم من جمع في تفسيره سائر فنون التفسير على صعيد واحد، ومنهم من اقتصر على ناحية من النواحي ، فاعتنى بعضهم بتفسير الكلمات، وشرح الغريب، وبيان وجوه الإعراب، وقام بعضهم بحشد الروايات والآثار الواردة في التفسير، وصرف بعضهم همته نحو المباحث الكلامية المنثبقة من القرآن الكريم، ونصب بعضهم نفسه لإيضاح وجوه البلاغة والإعجاز . إلى غير ذلك من النواحي التفسيرية المعروفة.

ومن أجل هذه النواحي مرتبة، وأعلاها قدراً ، وأعظمها نفعاً: استنباط الأحكام الشرعية من القرآن الكريم، فإن الأحكام الشرعية هي رسالة القرآن العملية، التي تنير السبيل للإنسان في حياته اليقظة، وتأخذ بيده إلى الخير في الورطات التي تعرضه في يومه وليلته.

فقامت جماعة من العلماء بجمع هذه الأحكام، فألفت في ذلك كتب كثيرة.

ومن أقدم المؤلفات في هذا الموضوع كتاب تفسير الخمسمائة آية من القرآن الكريم لمقاتل والذي لم يزل مخطوطاً في بريطانيا إلى أن حقق أخيراً في الجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة [1] وتفسير أحكام القرآن للإمام الشافعي رحمه الله تعالى، بل ذكر صاحب كشف الظنون أنه أول كتاب صنف في أحكام القرآن[2]، ولكنه لم يصل إلينا، والكتاب المطبوع المتداول باسم ((أحكام القرآن للشافعي)) إنما هو من تأليف الإمام البيهقي، قد جمع فيه مباحث أحكام القرآن من مختلف كتب الإمام الشافعي رحمه الله. وقد طبع في جزأين بمجلد واحد بتصحيح وتعليق: عبدالغني عبدالخالق. وتقديم: محمد زاهد الكوثري، ونشر: أبي أسامة

عزت العطار. طبع بمصر سنة 1371هـ ، وأعيد نشره بدار الكتب العلمية في بيروت سنة 1395هـ.[3]

ثم تتابع فقهاء كل مذهب بتأليف ((أحكام القرآن))، ومن أشهر ما ألف في هذا الموضوع:

1. أحكام القرآن، للشيخ أبي الحسن علي بن حجر السعدي، المتوفى سنة 244هـ.
2. أحكام القرآن لأبي الفضل أحمد بن المعذّل العبدي.[4]
3. أحكام القرآن لأبي عبدالله محمد بن عبدالله بن عبدالحكم المصري المتوفى سنة 268هـ[5]
4. كتاب في أحكام القرآن ، للإمام أبي سليمان داؤد بن علي بن خلف الظاهري المتوفى سنة 270هـ .[6]
5. أحكام القرآن، للقاضي أبي إسحاق إسماعيل بن إسحاق الأزدي البصري المتوفى سنة 282هـ
6. أحكام القرآن لأبي سعيد بن يحيى بن منصور بن حسن السلمي الهروي المتوفى سنة 292هـ[7]
7. أحكام القرآن، للشيخ أبي الحسن علي بن موسى بن يزداد القمي الحنفي، المتوفى سنة 305هـ
8. أحكام القرآن لأبي بكر محمد بن أحمد بن بُكير القاضي البغدادي المتوفى سنة 305هـ[8]
9. أحكام القرآن لأبي الحسن عبدالله بن أحمد بن محمد بن المغلس البغدادي المتوفى سنة 324هـ[9]
10. أحكام القرآن للإمام أبي جعفر أحمد بن محمد الطحاوي الحنفي، المتوفى سنة 371هـ
11. الجامع لأحكام القرآن، للشيخ أبي محمد القاسم بن أصبغ القرطبي النحوي المتوفى سنة 340هـ
12. أحكام القرآن، للشيخ المنذر بن سعد البلوطي القرطبي المتوفى سنة 355هـ
13. أحكام القرآن لأبي إسحاق محمد بن القاسم المالكي المتوفى سنة 355هـ[10]
14. أحكام القرآن لأبي الحكم منذر بن سعيد البلوطي المتوفى سنة 355هـ[11]

15. أحكام القرآن ، للإمام أبي بكر أحمد بن علي المعروف بالجصاص الرازي الحنفي المتوفى سنة 370هـ

16. أحكام القرآن لأبي العباس أحمد بن علي بن أحمد الربعي الباغائي المتوفى سنة 401هـ [12] (مخطوط)

17. أحكام القرآن لأبي يعلى محمد بن الحسين البغدادي ابن الفراء القاضي المتوفى سنة 458هـ [13]

18. أحكام القرآن، للشيخ الإمام أبي الحسن علي بن محمد المعروف بالكيا الهراسي المتوفى 504هـ[14]

19. أحكام القرآن، للقاضي أبي بكر محمد بن عبدالله المعروف بابن العربي المالكي المتوفى سنة 543هـ[15]

20. أحكام القرآن لأبي بكر بن عبدالله بن محمد الأشبيلي المتوفى سنة 543هـ

21. أحكام القرآن، للشيخ عبدالمنعم بن محمد بن فرس الغرناطي، المتوفى سنة 597هـ[16]

22. مختصر أحكام القرآن ، للشيخ أبي محمد مكي بن أبي طالب القيسي المتوفى سنة 437هـ

23. الجامع لأحكام القرآن لأبي عبدالله محمد بن أحمد بن أبي بكر القرطبي المتوفى سنة 671هـ وهو مطبوع متداول.

24. القول الوجيز لأحمد بن يوسف بن عبدالدائم الشافعي المعروف بالسمين الحلبي المتوفى سنة (706هـ) [17] (مخطوط)

25. تلخيص أحكام القرآن، للشيخ جمال الدين محمود بن أحمد المعروف بابن السراج القونوي المتوفى سنة 770هـ

26. تيسير البيان لأحكام القرآن لجمال الدين محمد بن علي المعروف بابن نور الدين الموزعي المتوفى سنة 825هـ[18]

27. أحكام القرآن المبين لعلي بن عبدالله بن محمود الشنفكي الشيرازي المتوفى سنة 907هـ[19] (مخطوط)

28. الإكليل في استنباط التنزيل، للعلامة جلال الدين السيوطي الشافعي رحمه الله، المتوفى سنة 911هـ

ومن الكتب المؤلفة في أحكام القرآن في شبه القارة الهندية الباكستانية :

1. رسالة في آيات الأحكام من القرآن الكريم لعلي بن شهاب الدين بن محمد الهمداني الحسيني المتوفى سنة 876هـ[20]

2. أحكام القرآن للشيخ رحم علي الجعفري الفلواري المتوفى سنة 1129هـ، وقد بلغ الكتاب أحد عشر مجلداً ويوجد منه ست مجلدات في الهند بمكتبة الزاوية المجيبية بفلوار من أعمال مدينة بتنة بالهند [21]

3. التفسيرات الأحمدية في بيان الآيات الشرعية، للشيخ أحمد بن سعيد الجونفوري الهندي الحنفي، المعروف بملاجيون رحمه الله المتوفى سنة 1130هـ .

4. نيل المرام من تفسير آيات الأحكام، للشيخ السيد محمد صديق حسن القنوجي البخاري المتوفى سنة 1307هـ.

ومن الكتب المؤلفة في أحكام القرآن في العصرالحديث :

1. تفسير آيات الأحكام للمناع خليل القطان
2. الشامل في تفسير آيات الأحكام للدكتور منصور أبو المعاطي الجوهري
3. منتهى الكلام في آيات الأحكام لمحمد حفيد أفندي الحنفي (المخطوط).
4. روائع البيان في تفسير آيات الأحكام للشيخ محمد علي الصابوني.[22]
5. أحكام القرآن لجماعة من علماء باكستان وهو موضوع بحثنا هذا، ففيما يلي نتناوله بالتفصيل الآتي

المبحث الأول: تعريف موجز بمؤلفي الكتاب

كان الإمام الداعية الكبير مولانا الشيخ أشرف علي التهانوي رحمه الله تعالى من أكثر الناس حرصاً على تأليف جديد في الموضوع، وكانت فكرته في مبدأ الأمر أن يكون ذلك الكتاب جامعاً لأدلة الحنفية من القرآن الكريم ببسط واستقصاء، كما أن كتاب ''إعلاء السنن'' الذي ألفه مولانا الشيخ ظفر أحمد العثماني رحمه الله بإرشاد شيخه التهانوي رحمه الله، جامع لأدلة الحنفية من السنة، ولذلك اقترح في أول الأمر أن يكون اسم الكتاب ''دلائل القرآن على مذهب النعمان'' ثم بدأ له أن لايقتصر على ذكر دلائل فحسب، بل يذكر كل ما يستنبط من آيات القرآن الكريم من فقه وأصول، وأدب

وخلق، وهداية وإرشاد، مع العناية الخاصة بالمسائل التي حدثت في العصور الأخيرة، ولا يوجد في كتب المتقدمين مباحث وافية في شأنها، وهنالك غير اسم الكتاب إلى ''أحكام القرآن''.

وكان الشيخ رحمه الله يود أن يؤلف هذا الكتاب بنفسه، ولكنه كان في عمره الأخير مزدحم الأشغال مع انتقاص القوى واعتراء الأسقام، وكان يريد أن يتم تأليف ''أحكام القرآن'' في أسرع وقت ممكن. فاختار رحمه الله أن يفوض هذا العمل إلى أربعة من أصحابه:

1. العلامة المحقق الكبير الشيخ ظفر أحمد العثماني رحمه الله تعالى
2. العلامة الفقيه مولانا الشيخ المفتي محمد شفيع رحمه الله تعالى
3. العلامة المحدث مولانا الشيخ محمد إدريس الكاندهلوي رحمه الله تعالى
4. العلامة الثبت مولانا الشيخ المفتي جميل أحمد التهانوي رحمه الله تعالى.

وقد قام فيما بعد الشيخ المفتي عبدالشكور الترمذي رحمه الله بإكمال ما تبقى من نصيب الشيخ ظفر أحمد العثماني وكتابة تكملة الجزء المختصر من الشيخ محمد إدريس الكاندهلوي، وبما أن الشيخ أشرف علي التهانوي هوالذي قدّم فكرة الكتاب، وقام بتوزيع تأليف الكتاب على أربعة من تلامذته البارزين، ثم إن الكتاب يحوي كثيراً من إفاداته التفسيرية فلذا أحببت أن أذكر ترجمة موجزة له ضمن التعريف بمؤلفي هذا الكتاب.

ففيمايلي تعريف موجز بهؤلاء الستة:

(1) مولانا أشرف علي التهانوي رحمه الله

كان رحمه الله من العلماء العباقرة الأفذاذ والدعاة البررة المخلصين الذين أناروا في الهند مصابيح التجديد باهرة الشعلة ساطعة النور، وأخلصوا حياتهم لإعلاء كلمة الله وإحياء علوم الدين، مرابطين على ثغور الإسلام، مثابرين في الدعوة إليه، ومصابرين على ما يصيبهم في هذا السبيل.

ولد رحمه الله صباح الخميس من ربيع الثاني سنة 1280هـ بقرية ''تهانه بهون'' وترعرع في بيئة دينية خالصة، وحفظ فيها القرآن وتعلّم مبادئ الفارسية والعربية وعلوم الدين على أيدي أساتذة مهرة. وفي الخامس عشر من عمره رحل إلى دار العلوم ديوبند ، وتلقى جميع العلوم العربية والأدبية، والعقلية والنقلية ، لدى أساتذة قد جدّدوا ذكريات

القدماء في سعة اطلاعهم وجودة إتقانهم، مثل الإمام المجاهد الكبير الشيخ محمود الحسن الديوبندي، ومثل العارف المحقق الشيخ محمد يعقوب النانوتوي ومثل الإمام الفيلسوف مولانا الشيخ محمد قاسم النانوتوي مؤسس دارالعلوم ديوبند ومثل مولانا الشيخ سيد أحمد الدهلوي، وفرغ من دراسته بدارالعلوم سنة 1300هـ.

تولّى التدريس في مدرسة شهيرة تسمى ''الفيض العام'' في مدينة كانبور واشتغل رحمه الله في كانبور بالتدريس والدعوة والإرشاد والتأليف مدة أربع عشرة سنة، ورجع إلى موطنه ''تهانه بهون'' في سنة 1315هـ. ولزم زاوية شيخه المسماة بالخانقاه الإمدادي، لأن شيخه الحاج إمداد الله المهاجر إلى مكة كان قد أوصاه بذلك، ثم لم يزل مقيماً بهذه الزاوية إلى أن توفاه الله تعالى في سنة 1262هـ. وفي هذه الزاوية أظهر الله على يديه تلك الأعمال الدينية العظام التي تعجز عنها الجمعيات الكبيرة والمجالس العلمية.

وكان حكيم الأمة الشيخ التهانوي رحمه الله أكثر الناس تأليفاً في عصره، فإنه قد ترك خلفه نحو ألف كتاب مطبوع ما بين صغير وكبير، ومن أهمها تفسير بديع باللغة الأردية باسم بيان القرآن وله أيضاً رسالة ''التقصير في التفسير'' انتقد فيها بعض التفاسير العصرية وله ثلاث وعشرن رسالة غيرها في التفسير وعلوم القرآن. وأما في الحديث فقد صنف بنفسه ''جامع الآثار'' و ''تابع الآثار'' واهتم بتأليف ''إعلاء السنن'' وأما في الفقه فله ''إمداد الفتاوى'' في ست مجلدات ضخمة باللغة الأردية وأما في العقائد والكلام فله ''الانتباهات المفيدة في الاشتباهات الجديدة'' و ''المصالح العقلية للأحكام النقلية'' وغيرها. وفي التصوف ''مسائل السلوك من كلام ملك الملوك'' باللغة العربية، والتشرف بمعرفة أحاديث التصوف وغيرها. وفي السيرة ''نشر الطيب في ذكر النبي الحبيب صلى الله عليه وسلم''. وفي الدعوة والإرشاد ''حياة المسلمين'' و''تعليم الدين''، و''فروع الإيمان'' و''آداب المعاشرة''، و''حقوق الإسلام'' و''حقوق الوالدين'' وغيرها. [23]

(2) العلامة المحقق الكبير الشيخ ظفر أحمد العثماني رحمه الله تعالى

العلامة المحقق الباحث الش يخ ظفر أحمد بن لطيف العثماني التهانوي ولد في 13 ربيع الأول سنة 1310هـ بمدينة ديوبند.

بدأ تعل يمه بحفظ القرآن الكر يم وقراءة الكتب الابتدائية. ومن أساتذته الشيخ محمد ياسين والد المفتي محمد شفيع وغيره من العلماء، ثم سافر إلى تهانه بهون عند خاله حكيم الأمة أشرف علي التهانوي، وقرأ عليه بعض الكتب، ثم رحل مع ه إلى كانبور والتحق بمدرسة جامع العلوم التي أسس ها حكيم الأمة هناك، وتلقى العلوم على جهابذة العلماء منهم الشيخ محمد إسحاق البردواني والشيخ محمد رشيد الكانبوري، ثم سافر إلى سهارنبور والتحق بمدرسة مظاهر العلوم، وقرأ الحدي ث الشريف على الإمام الفقيه الشيخ خليل أحمد السهارنبوري.

ونظراً لذكا ئه وقوة عقله وبلوغه في العلم عين مدرساً بمدرسة مظا هر العلوم، ومكث سبع سنين يدرس و يفتي، كما قام بالتدر يس في مدارس كثيرة في اله ند وبرما وبنغلاديش وأخيراً سافر إلى باكستان واستقر بالسند أستاذاً وشيخاً للحديث بدار العلوم الإسلامية بمدينة تندو الهه يار.

ومن أشهر آثاره العلمية إعلاء السنن ، و أحكام القرآن (وهو موضوع البحث)، و انكشاف الحقيقة عن استخلاف الطر يقة، والقول الماضي في نصب القاضي ، وكشف الدجى عن وج ه الربا، وتحذير المسلم ين عن موالاة المشرك ين، وإنجاء الوطن عن الازدراء بإمام الزمن، (ترجم فيه لأبي حنيفة وتلامذته). ومن كتبه المخطوطة العطر الوردي في ذكر المسيح والمهدي. وترجم كثيراً من الكتب العربية إلى الأردية.

توفي رحم ه الله بمدينة كراتشي في يوم الأحد 23 من ذي القعدة عام 1394هـ / 8ديسمبر 1974م.[24]

(3) مولانا المفتي محمد شفيع

كان يعتبر سماحة مولانا الشيخ محمد شفيع المفتي بن الشيخ محمد ياسين من كبار علماء الهند وباكستان. ولد الشيخ . رحمه الله . لأحد وعشرين من شعبان المعظم 1314 هـ، وترعرع في حجر العلم والعرفان، إذ عكف على تلقي العلم من العلماء الكبار منذ نعومة أظفاره، والتزم صحبة العارفين مذ بداية عمره.

قد دخل دارالعلوم ، في ''ديوبند'' بعد ماقرأ القرآن الكر يم في سنة 1325هـ، وهي أكبر جامعة دينية قامت بإشاعة المعارف الإسلامية القيمة في الهند .

وقد دخل الش يخ دارالعلوم هذه وهو في م يعة صباه، ولم يزل مدة عشر سنوات مشتغلاً بدراسته، مكباً على تلقي العلوم من العلماء الأفاضل العبقر يين الذ ين سار بصيتهم الركبان في أنحاء الهند وجوانبها. ومن أشهر أساتذته: مولانا الشيخ أنور شا ه الكشميري، ومولانا الشيخ المفتي عزيز الرحمن، ومولانا الشيخ السري أصغر حسين، وشيخ الإسلام مولانا شبيرأحمد العثماني ، و مولانا إعزاز علي ، و مولانا الشيخ محمد إبرا هيم البلياوي.

وبعد الفراغ عن دراسته في سنة 1335هـ عين مدرساً بدارالعلوم ولم يزل يدرس الحديث والتفسير والفقه وغيره ا من العلوم الدينية الرائجة مدة ست و عشرين سنة كما أنه عين رئيس هيئة الإفتاء بدار العلوم ديوبند بعد وفاة شيخه مولانا عزيز الرحمن فلم يزل المفتي محمد شفيع على هذا المنصب الجليل مذ سنة 1350هـ إلى 1362هـ.

وبعد استقلال باكستان هاجر الشيخ إليها وفي عام 1370 هـ أسس في مدينة كراتشي معهداً دينياً باسم دارالعلوم الذي يعتبر من أكبر مراكز العلوم الدينية في باكستان.

وله مؤلفات كثيرة نافعة قد جاوز عدد ها من مائة، معظمها باللغة الأردي ة في علم التفسير والحديث والفقه والتصوف والأدب والكلام والمعاشرة وغيرها، ومن أهمها:

1. معارف القرآن ، وهو تفسير نادر وقد طبع في ثماني مجلدات ضخمة باللغة الأرد ية. وترجم إلى الإنجليزية والفارسية والبنغالية وعدة لغات أخرى.

2. أحكام القرآن، (وهو موضوع البحث)

فألفه الشيخ في مجلد ضخ م يحتوي على مباحث نفيسة لاتكاد تجد ها مجتمعة في كتاب غيره، ثم هو يشمل أجزاء مفردة عل ى مباحث م همة، فصارت كتباً مستقلة واف ية لموضوعاتها، وهي: ''كشف الريب عن مسألة علم الغ يب'' و ''تكميل الحبور بسماع أهل القبور'' و''السعي الحثيث في تفسير لهو الحديث'' و''تنقيح الكلام في معنى الصلاة والسلام'' و''الإبانة لمعن ى التسبب والإعانة'' و ''تفس ير الخطاب في تفس ير آ يات الحجاب'' و''تحقيق السبر بعذاب القبر'' و''المقالة ا لم رضية في حكم سجدة التح ية'' و''تحقيق السحر وأحكام ه''. ومن مؤلفاته الشهيرة : ختم النبوة، و سيرة خاتم الأنبياء، وآلات جديدة، وأحكام الأراضي ، و إمداد المفتين، والتصريح بما تواتر في نزول المس يح، وهدية المهديين في آيات خاتم النبيين، وثمرات الأوراق، ونفحات.

توفي الش يخ المفتي محمد شف يع بمد ينة كراتشي في 6 أكتوبر 1976م/ 1396هـ، ودفن في ضريح مدرسة دارالعلوم بكراتشي.[25]

(4) مولانا محمد إدريس الكاندهلوي

ولد الشريخ محمد إدريس بن الحافظ محمد إسماع يل الكاندهلوي في بلدة كاندهلة بالهند سنة 1318هـ. تلقى تعليمه الابتدائي في قريته وأتم حفظ القرآن الكريم قبل بلوغه التاسعة من عمره، ثم رحل إلى كل من مدرسة مظاهر العلوم سهارنبور وجامعة دار العلوم الإسلامية ديوبند وتلقى العلوم من خيرة مشايخها.

ومن أشهر أساتذته حكيم الأمة الشريخ أشرف علي التهانوي، والشيخ خليل أحمد السهارنبوري، والعلامة أنور شاه الكشمير ي، والمحقق الكبير شبير أحمد العثماني، والمفتي عزيز الرحمن وغيرهم من جهابذة العلماء.

ع ين مدرساً بالمدرسة الأمينية بدلهي و دارالعلوم ديوبند. ومكث بها تسع سنوات ، انتقل بعدها إلى حيدرآباد

الدكن وألف كتابه المشهور (التعليق الصبيح على مشكاة المصابيح)، وأخ يراً رجع إلى دارالعلوم ديوبند شريخاً للحديث، ومكث عشر سنوات، هاجر بعدها إلى باكستان سنة 1368هـ شيخاً للحديث بالجامعة العباسية بمدينة بهاولفور، ثم الجامعة الأشرفي ة بلاهور إلى أن توفي إلى رحمة الله في رجب 1396هـ / 1976م.

ومن آثاره العلمية: تعليقات على تفسير البيضاوي، ومقدمة التفسير ، و تفسير معارف القرآن، وإعجاز القرآن، وأحكام القرآن، ومقدمة صحيح البخاري، وتحفة القاري بحل مشكلات البخاري ، و تحفة المسلم بمقدمة صح يح المسلم ، و تحفة الإخوان بشرح حديث شعب الإ يمان، و الباقيات الصالحات في شرح حد يث ''إنما الأعمال بالن يات''، ومنحة المغ يث شرح ألفي ة العراقي ، و مقدمة الحد يث، و التعليق الصبيح على مشكاة المصابيح، و سيرة المصطفى، والخلافة الراشدة ، و عقائد الإسلام ، و أصول الإسلام ، و علم الكلام، و الدعوة إلى الإسلام ، و إثبات صانع العلم ، و حدوث المادّة والروح ، و أحسن الحديث، ومسك الختام، والإسلام والنصرانية، وكلمة الله في حياة روح الله، والقول المحكم، ولطائف المحكم في أسرار نزول ع يسى بن مريم، والدين القيم، وأحسن البيان في مسئلة الكفر والإ يمان، و نهاية الإدرا ك في حق يقة التوح يد والإشرا ك، و فتح الغفور شرح منظور

القبور، والأسس الخلافية بين الإسلام والقاديانية، وسلك الدرر شرح تائية القضاء والقدر، والكلام الموثوق في تحقيق أن كلام الله غير مخلوق. [26]

(5) المفتي جميل أحمد التهانوي

ولد المفتي جميل أحمد بن سعيد أحمد في قرية "تهانه بهون" باله ند سنة 1903م. بدأ تعليمه بالمدرسة الإمداد ية ثم التحق بالمدرسة الشهيرة مظاهر العلوم بسهارنبور. ومن أشهر أساتذته الشيخ عبداللطيف، والشيخ عبدالرحمن الكاملفوري والشيخ أسعد الله والشيخ بدرعالم المهاجر المدني والشيخ عبدالوحيد السنبهلي والشيخ خليل أحمد السهارنفوري والشيخ نورأحمد الكاملفوري . وبعد أن أتم تعليمه في سنة 1362هـ بمظاهر العلوم عُيّن مدرساً في المدرسة نفسها، وتخلل هذه الفترة زمن قام بالتدريس والإفتاء في مدرسة إمداد العلوم بتهانه بهون. وفي عام 1370هـ هاجر إلى باكستان وعين أستاذًا ومفتيًا بالجامعة الأشرفية بلاهور كما أنه قام بالتدريس في جامعة الأطهر والجامعة دارالعلوم الإسلامية بلاهور أيضاً. وتوفي المفتي جميل أحمد رحمه الله في 25 ديسمبر 1995م بلاهور ودفن بها.

ومن آثاره العلمية: أحكام القرآن (تفسير القرآن من سورة يونس إلى سورة الفرقان)، وتراجم الحماسيين، ومجموعة من الأشعار العربية والحاوي على الطحاوي، وزكوة الحلي والعلامة السيد سليمان الندوي ، وأنهار الطرب على شرح أزهار العرب، و جمال الأولياء ترجمة الكتاب "كرامات الأولياء"، ولهم كتيبات أخرى ومقالات علمية عديدة في مختلف الموضوعات الفقهية والأخلاقية. [27]

(6) المفتي عبدالشكور الترمذي

ولد المفتي عبدالشكور الترمذي في 11 رجب سنة 1431هـ / مارس 1922م، وكان والده المفتي عبدالكريم الكمتلوي رحمه الله من تلامذة مولانا أشرف علي التهانوي. حفظ القرآن الكريم وقرأ الكتب الدينية الابتدائية على والده. وذهب بعد ذلك مع والده إلى الحجاز لأداء الحج ثم المدينة المنورة والتحق هناك بمدرسة العلوم الشرعية لمدة ثمانية شهور خلال إقامة والده هناك بصدد التدريس.

وبعد عودته إلى الهند مع والده، واصل دراسته بأحسن المؤسسات التعليمية الدينية المتواجدة في الهند وهي مظاهر العلوم بسهارنبور ودارالعلوم المعروفة بديوبند. وقد تشرف الشيخ عبدالشكور بملازمة حكيم الأمة أشرف علي التهانوي مدة طويلة استغرقت 21 سنة.

وبعد استقلال باكستان هاجر الشيخ عبدالشكور إليها وقام بإحياء المؤسسة العلمية التي سبق أن أنشأها والده الشيخ عبدالكريم باسم ''الجامعة الحقانية'' في شاه آباد بالهند (في محافظة كرنال) فقد أسس هذه الجامعة من جديد على أرض باكستان في مدينة ساهيوال سرجودها بإقليم بنجاب. وعكف طول حياته على عمل التدريس والدعوة والإرشاد والإفتاء من خلال هذه الجامعة. وله مؤلفات قيمة نافعة طبع أكثرها باللغة الأردية منها: هداية الحيران في جواهر القرآن وحياة الأنبياء وتذكرة الظفر وتذكرة الشيخ (حسين أحمد) المدني ومن رسائله: السعي المشكور في أحكام العاشور وإرشاد العباد في عيد الميلاد والعقيدة المرضية في الحياة البرزخية وغيرها. توفي رحمه الله في 5 شوال 1421هـ/ 1 يناير 2001م.[28]

المبحث الثاني: دراسة الكتاب ويتناول مايلي :

1. سبب تأليف الكتاب

2. طريقة عرض الكتاب

3. بيان منهج الكتاب

4. مصادر الكتاب

فأولاً : سبب تأليف الكتاب

سبق الكلام عن خلفية الكتاب وسبب تأليفه في المبحث الأول وهو أن الشيخ أشرف علي التهانوي أراد أن يجمع ما يستدل به على مسائل الإمام أبي حنيفة النعمان من النصوص القرآنية والإشارات الربانية، فيما اختلف فيه أئمة الاجتهاد، من الحلال والحرام والصحة والفساد. وكانت فكرته في مبدأ الأمر أن يكون ذلك الكتاب جامعاً لأدلة الحنفية من القرآن الكريم ببسط واستقصاء، ولذلك اقترح في أول الأمر أن يكون اسم الكتاب ''دلائل القرآن على مذهب النعمان'' ثم بدأ له أن لايقتصر على ذكر دلائل

فحسب، بل يذكر كل ما يستنبط من آيات القرآن الكريم من فقه وأصول، وأدب وخلق، وهداية وإرشاد، مع العناية الخاصة بالمسائل التي حدثت في العصور الأخيرة، ولايوجد في كتب المتقدمين مباحث وافية في شأنها، وهنالك غير اسم الكتاب إلى ''أحكام القرآن''.

وأما مشروع كتاب أحكام القرآن فقد وزّع حكيم الأمة الشيخ أشرف علي التهانوي هذا العمل الجبار على أربعة علماء أفاضل من تلامذته بحسب منازل القرآن السبعة.

وقد عهد تأليف المنزلين الأولين من منازل القرآن السبعة إلى فضيلة الشيخ المحدث ظفر أحمد العثماني وهو الذي يرجع إليه فضل المتقدم إلى تنفيذ هذا المشروع العلمي حيث بدأ عمله في عام 1354هـ الموافق 32 ـ 1931م. وقد استطاع الشيخ العثماني تكميل المنزل الأول من القرآن فقط وقد ظهر الكتاب في ثلاث مجلدات مشتملة على 1115 صفحة مطبوعة، استنبط فيها 1376 مسئلة فقهية على المنهج الحنفي.

وعهد تأليف المنزلين الثالث والرابع إلى فضيلة الشيخ المفتي الفقيه جميل أحمد التهانوي رحمه الله وقد أكمل عمله في ثلاث مجلدات أيضاً استخرج فيها 599 مسئلة فقهية من كتاب الله تعالى. ولم يتمكن من مواصلة تأليف المنزل الرابع لبعض الأسباب وتوقف العمل مدة من الزمن.

كما عهد العمل على المنزلين الخامس والسادس إلى فضيلة الشيخ المفتي محمد شفيع الديوبندي رحمه الله. وقد وفق بتكميل نصيبه في 854 صفحة استخرج فيها 700 مسئلة فقهية من القرآن طبقاً لمذهب الإمام أبي حنيفة رحمه الله تعالى.

وقد قام فضيلة الشيخ محمد إدريس الكاندهلوي رحمه الله بتأليف المنزل الأخير وكان تأليفه مختصراً بالنسبة إلى الآخرين حيث استنبط 180 مسئلة وظهر كتابه في 121 صفحة.

فكان العمل على هذا المشروع جاهزاً حتى عام 1388هـ / 69 ـ 1968م فيما يتعلق بالمنازل: 1، 3، 5، 6، 7 وقد توقف العمل عدة سنوات لبعض الأسباب أهمها انتقال هؤلاء العلماء المؤلفين من الهند إلى باكستان بعد استقلالها وانشغالهم بأعمال التدريس والتأليف والإفتاء.

ولما تم إنشاء إدارة أشرف التحقيق في عام 1987م بجهود الشيخ مشرف علي التهانوي ابن مولانا جميل أحمد التهانوي رحمه الله، ألحّ على والده إكمال ما بقي من نصيبه في هذا المشروع وهو المنزل الرابع كما طلب تكميل المنزل الثاني الذي كان قد عهد أصلاً إلى فضيلة الشيخ المحدث ظفر أحمد العثماني رحمه الله، من تلميذه فضيلة الشيخ المفتي عبدالشكور الترمذي رحمه الله. وقد أكمل الأخير العمل على المنزل الثاني واستخرج 1776 مسئلة من كتاب الله تعالى. ويشتمل هذا الجزء على 1333 صفحة. كما قام فضيلة الشيخ عبدالشكور الترمذي رحمه الله مشكوراً بكتابة التكملة للجزء المختصر الذي صدر من قلم فضيلة الشيخ محمد إدريس الكاندهلوي رحمه الله وأضاف إليها 750 صفحة استخرج فيها 488 مسئلة زيادة على ما كتبه المؤلف رحمه الله.

وقد قام الشيخ خليل أحمد التهانوي ابن الشيخ جميل أحمد التهانوي بإعداد فهرس شامل لمحتويات هذا الكتاب كله بحسب الترتيب الفقهي المعروف لتسهيل الاستفادة من هذا المرجع العلمي.

وهكذا تم إنجاز هذا المشروع الجبار الذي بدأ بأمر حكيم الأمة ومرشد الملة الإمام أشرف علي التهانوي في 1354هـ واستغرق هذا الجهد العلمي المنشود مدة 69 سنة واكتمل بجميع أجزائه ومنازل القرآن السبعة في عام 1423هـ.

ثانياً: طريقة العرض التي سار عليها مؤلفوا الكتاب

* ابتدأ الشيخ ظفر أحمد العثماني الكتاب بمقدمة أشاد فيها بالإمام أبي حنيفة ومذهبه كما أشاد بشيخه أشرف علي التهانوي ثم بين سبب تأليف الكتاب وتوزيعه إلى مؤلفي هذا الكتاب.[29]

* ابتدأ كتابه ببيان أحكام البسملة وهل هي آية في أول كل سورة من القرآن؟ وحكم التسمية قبل الفاتحة وترجيح التسمية سراً في الصلاة وخلاف العلماء في قراءة الفاتحة في الصلاة.[30]

* وطريقة المؤلفين في بيان الآيات، أن كلاً منهم يذكر الآية التي فيها حكم بقوله ''قال الله عزوجل'' فيبين معناها، وخلاف العلماء فيها، وما فيها من نسخ وإحكام وسبب نزول...وغيرها من المباحث.

* إن الكتاب مرتب حسب ترتيب المصحف، مبتدأً بسورة الفاتحة منتهياً بسورة الناس ذاكراً جيمع سور القرآن الكريم سورة سورة ويستخرج ما فيها من أحكام.

* وفي آيات العقيدة والتوحيد يتناولها المؤلفون بتوضيح رأي أهل السنة والجماعة، ودحض ورفض آراء الفرق الأخرى، وإنكار البدع والخرافات في هذا المجال.

* إن المؤلفين في بعض الأحيان يذكرون الآية أو الآيات ذات الموضوع ويبوبونها كتبويب الكتب الفقهية، ويضعون لكل باب عنواناً تندرج تحته المسائل والأحكام التي يتعرضون لها في هذا الباب. فيقولون مثلاً: باب الأيمان [31]، باب الحيض[32]، باب الإيلاء[33] ثم يوردون الآية في ذلك فيقولون قال الله تعالى.... ثم يسترسلون في بيان أحكامها وقد يضعون للمسائل والأحكام التي تعرضوا لها عنواناً خاصاً ويفردون لها المباحث مثل قولهم ''كشف الريب عن مسألة علم الغيب'' و تكلم على الحبور بسماع أهل القبور'' و ''السعي الحثيث في تفسير لهو الحديث'' و ''تنقيح الكلام في معنى الصلاة والسلام'' و ''الإبانة لمعنى التسبب والإعانة'' و ''تفسير الخطاب في تفسير آيات الحجاب'' و ''تحقيق بشق السبر بعذاب القبر''ونحو ذلك.[34]

* وقد تتكرر المواضيع والأبواب في عدة أماكن، وذلك حسب وضع الأحكام في المصحف فمثلاً: أحكام الحج نجدها في سورة البقرة في عدة مواضع، ونجدها أيضاً في سورة الحج. وأيضاً باب تحريم الخمر تكرر مرتين أحدهما في سورة البقرة والآخر في سورة المائدة. (وذلك عند تفسيره لقوله تعالى ﴿يَسْأَلُونَكَ عَنِ الْخَمْرِ وَالْمَيْسِرِ قُلْ فِيهِمَا إِثْمٌ كَبِيرٌ وَمَنَافِعُ لِلنَّاسِ وَإِثْمُهُمَآ أَكْبَرُ مِن نَّفْعِهِمَا﴾ (البقرة219)،[35] وعند تفسيره لقوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ إِنَّمَا الْخَمْرُ وَالْمَيْسِرُ وَالأَنصَابُ وَالأَزْلاَمُ رِجْسٌ مِّنْ عَمَلِ الشَّيْطَانِ فَاجْتَنِبُوهُ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾(المائدة90)[36].

وربما وقع المؤلفون في تكرار بعض المسائل فمثلاً: عند تفسير قوله تعالى ﴿كُتِبَ عَلَيْكُمْ إِذَا حَضَرَ أَحَدَكُمُ الْمَوْتُ إِن تَرَكَ خَيْرًا الْوَصِيَّةُ لِلْوَالِدَيْنِ وَالأقْرَبِينَ بِالْمَعْرُوفِ حَقًّا عَلَى الْمُتَّقِينَ ﴾ (البقرة 180) ذكر خلاف الفقهاء فيمن أوصى بأكثر من الثلث فأجازه الورثة قبل الموت. [37] وكرر نص الخلاف عند تفسيره لقوله تعالى ﴿وَلَكُمْ نِصْفُ مَا تَرَكَ أَزْوَاجُكُمْ إِن لَّمْ يَكُن لَّهُنَّ وَلَدٌ فَإِن كَانَ لَهُنَّ وَلَدٌ فَلَكُمُ الرُّبُعُ مِمَّا تَرَكْنَ مِن بَعْدِ وَصِيَّةٍ يُوصِينَ بِهَا أَوْ دَيْنٍ﴾(النساء 12)[38]

ثالثاً: منهج الكتاب

1. بيان معاني الآيات باختصار دون التعرض لما فيها من معان لغوية، واشتقاقٍ للألفاظ، وشرح للمفردات، وإعراب للكلمات.

2. اهتم الكتاب ببيان بعض مفردات الآيات التي تحتاج إلى إيضاح ويترتب عليها خلاف. فيبين أصلها اللغوي ويورد ما قاله فيها أهل اللغة. فمثلاً ذكر معنى القرء تحت قوله تعالى﴿وَالْمُطَلَّقَاتُ يَتَرَبَّصْنَ بِأَنفُسِهِنَّ ثَلاَثَةَ قُرُوَءٍ﴾ (البقرة228).[39] وذكر قول أبي حنيفة في معنى الخمر ودلائل قوله من السنة واللغة والآثار، [40] وذكر معاني المنخنقة والموقوذة والمتردية والنطيحة تحت قوله تعالى ﴿حُرِّمَتْ عَلَيْكُمُ الْمَيْتَةُ وَالْدَّمُ وَلَحْمُ الْخِنْزِيرِ وَمَا أُهِلَّ لِغَيْرِ اللهِ بِهِ وَالْمُنْخَنِقَةُ وَالْمَوْقُوذَةُ وَالْمُتَرَدِّيَةُ وَالنَّطِيحَةُ﴾ (المائدة:3)[41]

3. عنايته ببيان معنى الآيات بالمأثور سواء كان قرآناً أو حديثاً أو أثراً عن الصحابة والتابعين. وأمثلة ذلك كثيرة فمن ذلك مثلاً ما ذكره من سبعين حديثاً في الحجاب تحت تفسير آية الحجاب ﴿ يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ قُل لِّأَزْوَاجِكَ وَبَنَاتِكَ وَنِسَاء الْمُؤْمِنِينَ يُدْنِينَ عَلَيْهِنَّ مِن جَلَابِيبِهِنَّ ذَلِكَ أَدْنَى أَن يُعْرَفْنَ فَلَا يُؤْذَيْنَ وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا رَّحِيمًا ﴾ (الأحزاب:61)[42] وتفسير قوله تعالى ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ أَطِيعُواْ اللّهَ وَأَطِيعُواْ الرَّسُولَ وَأُوْلِي الأَمْرِ مِنكُمْ ﴾ (سورة النساء:59) فقد ذكر أقوال الصحابة والتابعين في بيان المراد بأولي الأمر.[43]

4. عني المؤلفون عناية كبيرة في الأحكام الفقهية المستنبطة من الآيات وتوسعوا في تعداد مسائلها، وكثرة تفريعاتها

حتى إنهم كانوا يستنبطون الأحكام ويفرعون عليها لأدنى سبب فمثلاً ذكر في تفسير قوله تعالى ﴿ لِكُلِّ أُمَّةٍ أَجَلٌ إِذَا جَاء أَجَلُهُمْ فَلاَ يَسْتَأْخِرُونَ سَاعَةً وَلاَ يَسْتَقْدِمُونَ﴾ (يونس: 49) ردّ ماقيل بعدم صحة إن نكحتك فأنت طالق وردّ أن الفاء للمعية.[44]

5. إن عناية المؤلفين بذكر أحكام القرآن والخلافات الفقهية جعلتهم يهتمون بذكر بعض المسائل والقواعد في أصول الفقه، الذي يضبط قواعد الاستنباط ويفصح عنها، ومن المسائل التي أوردوها مايلي: النسخ، ونسخ القرآن بالسنة، [45] والإجماع [46]، والقياس، والاجتهاد[47]، وإثبات التقليد[48]، وسد الذرائع[49]، والعام والخاص، خبر الواحد[50]، وغيرها.

6. إن الاستنباطات التي يذكرها المؤلفون كما تشمل الأحكام الفقهية والمسائل الأصولية المستنبطة من القرآن تشمل أيضاً الأمور العقائدية والأخلاق والآداب ومسائل السلوك

والتصوف ففي بداية سورة البقرة تكلم عن الإيمان وحقيقته [51] وتكلم عن عصمة الأنبياء عليهم السلام في تحقيق خبر هاروت وماروت [52] وفي تفسير قوله تعالى ﴿ فَمَا لَبِثَ أَن جَاء بِعِجْلٍ حَنِيذٍ ﴾ (هود: 69) ذكر آداب الضيافة [53] وذكر آداب التبليغ تحت قوله تعالى ﴿ وَاتْلُ مَا أُوحِيَ إِلَيْكَ مِن كِتَابِ رَبِّكَ لَا مُبَدِّلَ لِكَلِمَاتِهِ وَلَن تَجِدَ مِن دُونِهِ مُلْتَحَدًا﴾ (الكهف:27)[54] وذكر آداب المعاشرة وحقوق الإسلام في تفسير سورة الحجرات.[55] وفي تفسير قوله تعالى ﴿ فَفِرُّوا إِلَى اللَّهِ إِنِّي لَكُم مِّنْهُ نَذِيرٌ مُّبِينٌ ﴾ (الذاريات: 50) ذكر قوله: ''أورده الصوفية في باب الفرار، وفسروه بالهرب مما لم يكن إلى ما لم يزل، وبالانتقال من الجهل إلى العلم، ومن الكسل إلى التشمير. [56] وذكر بعض مسائل السلوك في تفسير قوله تعالى ﴿ أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ لاَ تُحِلُّواْ شَعَآئِرَ اللّهِ ﴾ (المائدة:2)[57]

7. اعتنى المؤلفون في بيان أسباب النزول عناية فائقة فلا تكاد تمر آية ورد فيها سبب إلا بينوه وذكروا الروايات فيه، ورجحوا ما يرونه قوياً ومستنداً إلى دليل صحيح.[58]

8. اهتم الكتاب في بيان القراءات وما يؤخذ منها من أحكام، واعتنى بصورة خاصة على المتواترمنها. وفي الغالب يبين معنى كل قراءة ومن قرأها من القراء. ومثال ذلك أيضاً بيان اختلاف القراءات في قوله تعالى ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ إِذَا قُمْتُمْ إِلَى الصَّلاةِ فاغْسِلُواْ وُجُوهَكُمْ وَأَيْدِيَكُمْ إِلَى الْمَرَافِقِ وَامْسَحُواْ بِرُؤُوسِكُمْ وَأَرْجُلَكُمْ إِلَى الْكَعْبَينِ﴾ (المائدة:6) [59]

9. اعتنى الكتاب عناية خاصة في الرد على بعض الفرق الضالة كالمبتدعة، والقدرية، والمعتزلة، والشيعة الإمامية، والفلاسفة، والطبيعيين والملاحدة وغيرهم وأمثلة ذلك كثيرة [60] .

10. وقد توسع الكتاب في بيان النسخ والإحكام في كثير من الآيات.[61]

11. إن المؤلفين يذكرون ما يستنبط من الآيات من الأحكام، ويبينون خلاف السلف والفقهاء فيها، والأدلة على ما اتفقوا عليه،وما اختلفوا فيه، ويتوسعون في الاستدلال لرأي أبي حنيفة ويرجحونه، ويتلمسون له الأدلة التي تقويه، سمعية أو عقلية، ويدعمونها بما يروونه عن مشايخهم ثم يردون على المخالفين له، وذلك بإيراد اعتراضاتهم ثم ردها مما يزيد في تقرير وتأكيد وتقوية مذهبه. [62]

12. وكما أنهم يرجحون بين الآراء فقد يبدون آراء جديدة مما يدل على سعة علمهم وفهمهم لكتاب الله، فمثلاً عند تحقيق اختصاص هذه الأمة بتسمية المسملين ذكر أقوال المفسرين ثم أبدى رأيه بما يزول به الخلاف.[63]

13. إن المؤلفين تطرقوا إلى بيان بعض المسائل المستحدثة واستنباط أحكامها والتي لم يتعرض لها من سبقهم من مفسري آيات الأحكام فعلى سبيل المثال ذكروا مسألة كتابة النص القرآني بالحرف اللاتيني.[64] تحت تفسير قوله تعالى ﴿ لَا مُبَدِّلَ لِكَلِمَاتِهِ ﴾ (الكهف:27)

14. بما أن المؤلفين حنفيوا المذهب فإنهم كثيراً ما يذكرون رأي إمامهم، وأقوال علماء مذهبه، بل وترجيحه في الغالب، ومع هذا كانوا منصفين، متأدبين بأدب العلماء، لا يعنفون على غيرهم، لطيفي العبارة مع من يخالفهم.

15. إن المؤلفين اعتمدوا في كتابهم على مفسري أحكام القرآن اعتماداً كبيراً، فكانوا في كل مسألة يوردونها يذكرون أقوالهم فيها وما يحصل فيها من معارضات، والأجوبة عليها، وموقفهم من هؤلاء المفسرين يتلخص في الحالات التالية:

أ. ذكر أقوالهم في الآية دون التعقيب عليها أو زيادة أقوالٍ لعلماء آخرين.

ب. الدخول في مناقشاتهم وذكر ردودهم على بعض وخاصة فيما يتعلق بالدفاع عن المذهب الحنفي.

ج. التعقيب على أقوالهم: إما بقبولها والزيادة عليها، أو بردها إذا لم يرتضوها، أو بالاستدراك عليها.

د. إظهار الإعجاب بأقوالهم وامتداح ذلك القول.

ي. عفة اللسان والتأدب بآداب العلماء وعدم الرضا للأساليب الشديدة في حق العلماء.[65]

رابعاً: مصادر الكتاب

استقى المؤلفون الكتاب من مصادر كثيرة ومتنوعة شملت كتب التفسير، وعلوم القرآن، والقراءات والفقه، والحديث، والتوحيد، والسيرة، واللغة، والنحو.... وغيرها ويمكن تقسيم هذه المصادر إلى قسمين:

القسم الأول: مصادره من الكتب، فقد أكثروا من النقل عن الكتب والإشارة إليها ومن أهمها كتب التفسير عامة وتفاسير آيات أحكام القرآن المتقدمة خاصة وكتب الصحاح والسنن وشروح الحديث، وكتب الفقه والفتاوى والعقائد والسيرة واللغة والنحو

وغير هذه الكتب مما لا يتسع المجال ذكره. فقد يبلغ عدد مصادر الكتاب إلى أكثر من مائة وخمسين كتاباً .[66]

القسم الثاني: مصادره من شيوخه فكان لشيوخ المؤلفين أثر كبير في هذا الكتاب إذ أفادوا منهم، ونقلوا عباراتهم، وما حدث لهم معهم من مناقشات علمية. وقد أكثر المؤلفون النقل عن شيخهم أشرف علي التهانوي، والشيخ أنور شاه الكشميري والشيخ خليل أحمد السهارنفوري، ومولانا حسين أحمد المدني، والشيخ محمد زكريا الكاندهلوي وغيرهم.

ولا يعني كثرة مصادر الكتاب أن مهمته كانت الجمع فحسب فإن الكتاب قد جمع فأحسن الجمع، ونسق فأحسن التنسيق، واستوفى في أكثر المواطن فأحسن الاستيفاء.

المبحث الثالث: ميزات الكتاب ومكانته من بين تفاسير آيات الأحكام قديماً وحديثاً

يمكننا أن نشير إلى أبرز خصائص تفسير أحكام القرآن في مايلي:

1- التزامه في جانب العقيدة مذهب السلف الصالح وبعده في الغالب عن تأويل الآيات بغير ما تدل عليه حسب قواعد الشرع واللغة، مع خلو أكثره عن الكلام على آيات الصفات بنفي أو إثبات.

2- خلوه من الاستدلال بالأحاديث الضعيفة والموضوعة التي تؤيد مذهباً أو رأياً.

3- تنقيح الروايات التاريخية وبيان الراجح منها.

4- اعتماده علي المصادر الموثوقة عند أهل العلم فجاءت كتب تفسير آيات الأحكام خاصة وكتب التفسير الأخرى عامة في مقدمتها، وكتب فقهاء المذاهب الأربعة، وكتب الصحاح والسنن عند استدلالهم بالأحاديث. كما كانت هناك سمة غالبة لهذا الكتاب إذ استفاد كل مفسر من الذي قبله سواء بقبول قوله، أو الرد عليه إذا لم يظهر له صحة ما ذهب إليه.

5- اتساع دائرة الفقه في هذا الكتاب بحيث توسع المؤلفون في ذكر الخلافات وآراء الأئمة في المسائل الفقهية، ونتج عن ذلك إبراز فقه الآيات بحسب المذاهب الفقهية. ومن هنا سهل على الباحثين والفقهاء الاطلاع على الأحكام الشرعية وفق مذاهب الأئمة من خلال الآيات القرآنية.

6- بروز التبعية للمذهب الحنفي في تفسير آيات الأحكام فإن مؤلفي الكتاب وإن بدت منهم ميول مذهبية فقد أظهروا أدباً جماً في مناقشة العلماء والتأدب بآدابهم، وعدم التعنيف على غيرهم، والبعد عن التطاول على المخالفين لهم.

7- اتباع الكتاب في ترتيب آيات الأحكام حسب ورودها في المصحف بدءاً من سورة الفاتحة وانتهاء بسورة الناس. فالكتاب أكثر الكتب المؤلفة في آيات الأحكام ترتيباً وتبويباً للمسائل، إذ يذكر الآية ثم يبين ما فيها من مسائل.

مكانة الكتاب

يمكن أن يعد هذا الكتاب من أفضل الكتب المؤلفة حديثاً في أحكام القرآن لعدة اعتبارات:

1. اشتماله على عدد كبير من آيات الأحكام.
2. استقصاؤه في بيان معاني الآيات من منطوقها ومفهومها.
3. براعته في الاستنباط واستخراج الأحكام.
4. التزامه بمنهج معين لا يحيد عنه، فظهر الكتاب حسن الترتيب والتبويب.
5. استشهاده بالأحاديث المؤيدة للحكم مع توثيقها أو جرح المحدثين بها.
6. نفرته من الإسرائيليات، والأحاديث الضعيفة.
7. حرصه على ذكر أقوال السلف في تفسير الآية.
8. شموله غالب أقوال الفقهاء، وذكر استدلالاتهم ومناقشتها.
9. تركيزه بصورة خاصة على المذهب الحنفي، مما جعله يعد مرجعاً مهماً في الفقه الحنفي.
10. سعة إدراك المؤلفين، وتنوع معارفهم، وإلمامهم بمختلف العلوم، مما جعلهم متمكنين من توجيه الأقوال والترجيح بينها.
11. عنايته بمعاني الآيات لغوياً، وإلمامه بالقراءات الواردة في بعضها، وحرصه على بيان الأحكام على ضوء القواعد الأصولية.
12. اهتمامه بما في الآيات من أسباب نزول والترجيح بينها إذا تعددت الروايات فيها، كما يذكر ما في الآيات من ناسخ أو منسوخ إن وجد ذلك.

13. هذا التفسير نتيجة جهود لجنة علمية لا جهود فردية فلذا يستحق لمزيد من التقدير والاهتمام.

وبعد هذا العرض عن كتاب أحكام القرآن يمكن أن يقال: إن الكتاب توسع في ذكر الخلافات الفقهية، وبيان آراء المجتهدين، وما استدلوا به على آرائهم من أدلة سمعية وعقلية. وتوسع المؤلفون خاصة في الاحتجاج لمذهب أبي حنيفة، وانتصروا له، وتلمسوا له الأدلة التي تعززه وتقويه من الآيات والأحاديث ومما يروونه عن شيوخهم، لهذا كان هذا الكتاب من أهم كتب التفسير الفقهي عند الحنفية في العصر الحاضر، حيث يقوم على تركيز مذهبهم والدفاع عنه، وقد حوى آراء علمائهم، وفصل الأقوال المجملة عنهم، وعزز ذلك بالأدلة، وحرص على تضعيف آراء المذاهب الأخرى.

فهذا الكتاب الذي هو بين أيدينا في صورته النهائية الكاملة قد جاء كتاباً جامعاً شاملاً كما اقترح منهج تأليفه حكيم الأمة الإمام أشرف علي التهانوي، فهو يمثل تقدماً واضحاً ملموساً في إظهار العبقرية الفقهية التفسيرية لعلماء المذهب الحنفي التي تجلت في آراءهم وأجوبتهم على مدى مختلف العهود والأزمنة التاريخية. فهو عمل علمي جبار يستوعب كافة أبعاد الحياة الإنسانية من الفقه الأكبر. (العقيدة) والفقه العلمي (الفقه العام) وفقه النفس والروح (التصوف) وفقه الاجتماع (أحكام الاجتماع والتعامل الاجتماعي بين المسلمين) كما تم استنباط أحكامها أصولاً وفروعاً من كتاب الله الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه تنزيل من حكيم حميد.

وأرى أن الكتاب يحتاج إلى خدمة علمية بتحقيق نصه، وتخريج أحاديثه، والتعليق على بعض قضاياه، وطبع جميع أجزائه موحدة لتتم الإفادة منه. والله الهادي إلى سواء السبيل.

الخاتمة . نسأل الله تعالى حسنها :

وبعد هذا العرض، رأيت أن أجعل خاتمة هذا البحث تتضمن أبرز النتائج في نقاط محددة، على النحو الآتي:

1. إن التأمل في كتاب الله تعالى وتدبره أدى إلى ظهور ثروة تفسيرية ضخمة، تمثلت بمناهج المفسرين المتعددة.

2. من أجل هذه المناهج مرتبة وأعلاها قدراً، وأعظمها نفعاً استنباط الأحكام الشرعية من القرآن الكريم.

3. لدى النظر في كتب تفسير آيات الأحكام يمكن أن نعدّ تفسير مقاتل بن حيان أول كتاب مؤلف في الموضوع.

4. تتابع فقهاء كل مذهب بتأليف أحكام القرآن تأييداً لمذهبهم وإبراز أدلته.

5. لعل كتاب أحكام القرآن لجماعة من علماء باكستان آخر تفسير فقهي كامل للقرآن صدر في العصر الحديث.

5. إن إعمال الفكر في كتاب الله تعالى للوصول إلى فهم جديد، أمر مطلوب ما لم يجنح عن المنهج السليم الذي التزمته أمة الإسلام عبر القرون.

6. إن القضايا المستجدة في العصر الحديث تستدعي إعمال الفكر للوصول إلى حلول شرعية عن طريق استنباطها من آيات الأحكام القرآنية.

الهوامش

[1] علي بن سليمان العبيد (الدكتور) : تفاسير آيات الأحكام ومناهجها ، الرياض: دارالتدمرية ، 1431هـ / 2010م، ج1، ص 100

[2] حاجي خليفة : كشف الظنون عن أسامي الكتب والفنون، بيروت: دارالعلوم الحديثة ، ج1 ، ص 35

[3] أبو إسحاق إسماعيل بن إسحاق المالكي : أحكام القرآن، تحقيق وتقديم الدكتور عامر حسن صبري، بيروت: دار ابن حزم ، الطبعة الأولى 1426هـ/ 2005م، ص 38 . و علي بن سليمان العبيد (الدكتور): تفاسير آيات الأحكام ومناهجها، ج1، ص199- 200

[4] عادل نويهض : معجم المفسرين، بيروت: مؤسسة نويهض الثقافية، الطبعة الأولى 1403هـ، ج1ص80 ، قال الذهبي في السير: لم أر له وفاة ج1 ص521

[5] الذهبي، محمد بن أحمد (الحافظ) : سير أعلام النبلاء، تحقيق جماعة من المحققين ، بيروت: مؤسسة الرسالة، ج11 ص511

[6] عادل نويهض: معجم المفسرين، ج1ص181

[7] الذهبي، محمد بن أحمد (الحافظ) : سير أعلام النبلاء، ج 13 ص 571، والسمعاني: الأنساب، بيروت: دارالكتب العلمية، ج 4 ص543

[8] ابن حجر العسقلاني: المعجم المفهرس، تحقيق : محمود شكور محمود أمرير ، بيروت: مؤسسة الرسالة، ص 392

[9] الذهبي: سير أعلام النبلاء ، ج15 ص 77

[10] الذهبي: سير أعلام النبلاء ، ج16 ص 78

[11] ابن حجر: المعجم المفهرس، ص 392 والذهبي: سير أعلام النبلاء، ج16 ص 173

[12] حاجي خليفة: كشف الظنون، ج 1 ص36، وعلي بن سليمان العبيد (الدكتور) : تفاسير آيات الأحكام ومناهجها، ج1، ص168

[13] الذهبي: سير أعلام النبلاء، ج18 ص 91

[14] أبو إسحاق إسماعيل بن إسحاق المالكي: أحكام القرآن، ص 42

[15] أبو إسحاق إسماعيل بن إسحاق المالكي: أحكام القرآن، ص 42

[16] الذهبي: سير أعلام النبلاء، ج21 ص 365

[17] علي بن سليمان العبيد (الدكتور): تفاسير آيات الأحكام ومناهجها ، ص 400

[18] طبعته رابطة العالم الإسلامي سنة 1418هـ بمجلدين، علي بن سليمان العبيد (الدكتور) : تفاسير آيات الأحكام ومناهجها، ص400

[19] علي بن سليمان العبيد (الدكتور): تفاسير آيات الأحكام ومناهجها، ص483

[20] عبدالحي اللكهنوي : نزهة الخواطر وبهجة المسامع، حيدر آباد دكن: مطبعة مجلس دائرة المعارف العثمانية، الطبعة الأولى 1954م، ص 84. 87 و الزركلي ، خير الدين: الأعلام، بيروت: دار العلم للملايين، الطبعة الرابعة 1979، ج 4 ص 294

[21] علي بن سليمان العبيد (الدكتور): تفاسير آيات الأحكام ومناهجها، 558

[22] راجع لمعرفة بقية الكتب المؤلفة في هذا الموضوع وتفصيل المطبوع والمخطوط من الكتب المذكورة وغيرها مايلي: أبو إسحاق إسماعيل المالكي : أحكام القرآن، مقدمة المحقق. ص 37 . 42 وعلي بن سليمان العبيد(الدكتور): تفاسير آيات الأحكام ومناهجها، والأستاذ عادل نويهض: معجم المفسرين.

[23] راجع للتفصيل: ظفر أحمد عثماني: إعلاء السنن، مقدمة الكتاب، كراتشي: إدارة القرآن والعلوم الإسلامية، 1418هـ، ج1 ص 9. 23

[24] راجع لترجمته: الترمذي، عبدالشكور : تذكرة الظفر، كمالية: مطبوعات علمي، الطبعة الأولى 1977م- و عبدالله، محمود محمد : اللغة العربية في باكستان دراسة وتاريخاً ، باكستان: وزارة التعليم الفيدرالية، الطبعة الأولى 1404هـ، ص205. 207- و فيوض الرحمن (الدكتور): مولانا أشرف علي التهانوي وخلفاؤه، كراتشي: مجلس نشريات، 1997م، ص149.156 - وظفر أحمد عثماني : إعلاء السنن، مقدمة الكتاب، كراتشي: ص ص 4،5- و ج18، ص 437.

[25] انظر لترجمته: محمد تقي العثماني : الازدياد السّني على اليانع الجني للمفتي محمد شفيع ، كراتشي: إدارة المعارف ، ص 53. 81 و العدد الخاص لمجلة البلاغ الشهرية، (جمادى الثانية – شعبان سنة 1399ھ) الصادرة من دارالعلوم كراتشي، باكستان – و قريشي، محمد إسحاق : شعر المديح النبوي في شبه القارة الهندية الباكستانية، لاهور: مركز معارف أولياء ، 2002م، ص ص 903. 904 وعبدالله، محمود محمد: اللغة العربية في باكستان، ص ص 211. 212.

[26] عبدالله، محمود محمد : اللغة العربية في باكستان، ص 252. 254، و فيوض الرحمن، الدكتور : مشاهير علماء ديوبند، لاهور: نيشنل بك سروس، ص 436. 461 – و صديقي، محمد مياں: تذكرة الشيخ محمد إدريس الكاندهلوي، لاهور: مكتبة عثمانية، الطبعة الأولى 1977م، ص 29 ومابعدها.

[27] فيوض الرحمن(الدكتور): مشاهير علماء، لاهور: فرنتير ببلشرز ، ج2، ، ص68. 72، و سيد، محمد شاهد: علماء مظاهر العلوم وخدماتهم في مجال العلم والتأليف (بالأردية)، لاهور: إدارة إسلاميات، 1988م، ج2، ص266

[28] راجع لترجمته بالتفصيل: الترمذي، عبدالقدوس: حياة ترمذي (باللغة الأردية)، ساهيوال، سرجودها، الجامعة الحقانية ، محرم 1424ھ.

[29] ظفر أحمد العثماني : أحكام القرآن، إدارة القرآن ، كراتشي: الطبعة الأولى 1407ھ / 1987م، القسم الأول من الجزء الأول، ص1. 3

[30] ظفر أحمد العثماني: أحكام القرآن، القسم الأول من الجزء الأول، ص 4. 9

[31] ظفر أحمد العثماني: أحكام القرآن، القسم الأول من الجزء الأول، ص 426

[32] ظفر أحمد العثماني: أحكام القرآن، القسم الأول من الجزء الأول، ص 409 ومابعدها

[33] ظفر أحمد العثماني: أحكام القرآن، القسم الأول من الجزء الأول، ص 426

[34] المفتي محمد شفيع : أحكام القرآن ، كراتشي: إدارة القرآن، الطبعة الثالثة 1418ھ، ج3 ص44، 74، 163، 186، 203، 393

[35] ظفر أحمد العثماني: أحكام القرآن، القسم الأول من الجزء الأول، ص 384 ومابعدها

[36] الترمذي، عبدالشكور: أحكام القرآن، لاهور: إدارة أشرف التحيق والبحوث الإسلامية، الطبعة الأولى 1425ھ، الجزء الثاني من الحزب الثاني، ص290 ومابعدها

[37] ظفر أحمد العثماني: أحكام القرآن، القسم الأول من الجزء الأول، ص 157

[38] ظفر أحمد العثماني: أحكام القرآن، الجزء الثاني، ص 149

[39] ظفر أحمد العثماني: أحكام القرآن، القسم الأول من الجزء الأول، ص 451-454

[40] ظفر أحمد العثماني: أحكام القرآن، القسم الأول من الجزء الأول، ص388-389

[41] الترمذي، عبدالشكور: أحكام القرآن، الجزء الثاني من الحزب الثاني، ص 123. 124

[42] المفتي محمد شفيع: أحكام القرآن، ج3 ص440

[43] التهانوي، جميل أحمد : أحكام القرآن، لاهور: إدارة أشرف التحقيق، الطبعة الأولى 1419هـ، الجزء الأول من الحزب الثالث، ص161، 165،168

[44] التهانوي، جميل أحمد: أحكام القرآن، الجزء الأول من الحزب الثالث، ص270

[45] ظفر أحمد العثماني: أحكام القرآن، القسم الأول من الجزء الأول، ص 32، 57، 240

[46] ظفر أحمد العثماني: أحكام القرآن، القسم الأول من الجزء الأول، ص76 ومابعدها

[47] ظفر أحمد العثماني: أحكام القرآن، القسم الأول من الجزء الأول، ص80، 83، 398

[48] التهانوي، جميل أحمد: أحكام القرآن، الجزء الأول من الحزب الثالث، ص 135 ومابعدها

[49] ظفر أحمد العثماني: أحكام القرآن، القسم الأول من الجزء الأول، ص 54

[50] ظفر أحمد العثماني: أحكام القرآن، القسم الثاني من الجزء الأول، ص720

[51] ظفر أحمد العثماني : أحكام القرآن، الجزء الأول، ص 11 و التهانوي، جميل أحمد : أحكام القرآن، الجزء الأول من الحزب الثالث، ص302-313

[52] ظفر أحمد العثماني: أحكام القرآن، القسم الأول من الجزء الأول، ص66

[53] التهانوي، جميل أحمد: أحكام القرآن، الجزء الثاني من الحزب الثالث، ص219 ومابعدها

[54] التهانوي، جميل أحمد: أحكام القرآن، الجزء الأول من الحزب الرابع ، ص 265 ومابعدها

[55] المفتي محمد شفيع: أحكام القرآن، ج4 ص302-303

[56] الكاندهلوي، محمد إدريس : أحكام القرآن، كراتشي: إدارة القرآن، الطبعة الثالثة 1418هـ ، ج5 ص 4

[57] الترمذي، عبدالشكور: أحكام القرآن، الجزء الأول من الحزب الثاني، ص94

[58] الترمذي، عبدالشكور : أحكام القرآن، الجزء الأول من الحزب الثاني، ص 103، و المفتي محمد شفيع: أحكام القرآن، ج3، ص395

[59] الترمذي، عبدالشكور : أحكام القرآن، الجزء الأول من الحزب الثاني، ص 96، 98، 373، 402، 406

[60] انظر على سبيل المثال، التهانوي، جميل أحمد : أحكام القرآن، الجزء الأول من الحزب الثالث، ص 3، 8، 221، 222، 232، 321، 323 والجزء الثاني من الحزب الثالث، ص 215، 239، 240 والعثماني ظفر أحمد: أحكام القرآن، القسم الأول من الجزء الأول، ص 36،25، 67، 68

[61] العثماني ظفر أحمد: أحكام القرآن، القسم الأول من الجزء الأول، ص282، 285

[62] العثماني ظفر أحمد : أحكام القرآن، القسم الأول من الجزء الأول، ص 81، 158، 430، 449، 466 وأحكام القرآن : الترمذي، عبدالشكور، الجزء الأول من الحزب الثاني، ص 4، 38، 43، 61، 70، 79، 105، 514

[63] المفتي محمد شفيع: أحكام القرآن ، ج3، ص105 وذلك كثير فغالباً يذكر المؤلفون آراءهم بالعبارة التالية ''وقال العبد الضعيف''

[64] التهانوي، جميل أحمد : أحكام القرآن، الجزء الأول من الحزب الرابع،ص 269. 280 وراجع أيضاً المفتي محمد شفيع: أحكام القرآن ، ج3 ص194، 201، 202، 483

[65] الترمذي، عبدالشكور: أحكام القرآن، الجزء الأول من الحزب الثاني، ص10، 43، 79، 105، 379، 412، 514 و العثماني ظفر أحمد: أحكام القرآن، القسم الأول من الجزء الأول، ص81، 216، 349، 360، 384، 438، 466

[66] راجع للتفصيل فهرس المصادر والمراجع لكتاب أحكام القرآن الذي رتبه الدكتور خليل أحمد التهانوي في آخر الجزء الثالث من الحزب الرابع لأحكام القرآن ، ص485. 512